(٨٦)

تمام عمرة القضاء

* ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾

[سورة الفتح: آية: ٢٧]

* ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾

[سورة آل عمران: آية: ٣١]

* * *

«على مقربة بسفوح الجبال المحيطة بمكة، يقف عتاة القرشيين يرقبون بقلوب مليئة بالحسرات ما يجرى على مرمى أبصارهم بالبيت العتيق، تهتاج خواطرهم وهم يرون ويسمعون «بلال» الأسود يصدح بأذان الصلاة للمسلمين من فوق ظهر الكعبة.. تطفر الدموع إلى عيونهم، ويذهب الغيظ ما تبقى فى عقولهم!!.. لا يقدر سهيل بن عمرو وكثير ممن حوله على النظر إلى ما يجرى، فأخذوا يغطون وجوههم حتى لا يشاهدوا ما يكرهون!».

عكرمة بن أبى جهل: (لمن حوله) أكرم الله والدى أبا الحكم أن مات قبل أن يرى ويسمع هذا العبد الأسود يقول ما يقول!

صفوان بن أمية : الحمد لله الذى أذهب أبى قبل أن يرى هذا!

خالد بن أسيد : الحمد لله الذى أمات أبى ولم يشهد هذا اليوم حين يقوم بلال ابن أم بلال ينهق فوق الكعبة!

* * *

«بحى بنى مخزوم فى مكة.. الوليد بن الوليد ابن المغيرة يتلمس قومه بحثًا عن أخيه خالد ابن الوليد الذى لا يزال يركبه العناد ويحارب الإسلام!!».

الوليد بن الوليد : (لأهله) أخى خالد؟

المخزوميون : بخارج مكة.. خرج فى قنص.

الوليد : (منكرًا) فى هذا الوقت؟!

بعضهم : لم يشأ أن يرى ما يوجع!

الوليد : ما لمثله أن يتأخر عن الإسلام!.. (يدعو إليه بقلم ورقعة ويكتب) بسم الله الرحمن الرحيم. من الوليد بن الوليد إلى أخيه خالد بن الوليد. أما بعد: فإنى لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام، وعقلك عقلك! ومثل الإسلام لا يجهله أحد! وقد سألنى رسول الله عنك فقال أين خالد؟ فقلت: يأتى الله به. فقال ما مثله يجهل الإسلام!، ولو كان جعل نكايته وجده مع المسلمين على المشركين، لكان خيرًا له، ولقدمناه على غيره. فاستدرك يا أخى مافاتك، فقد فاتتك مواطن صالحة.

«الوليد يناول الكتاب إلى أحد إخوته ويشرع فى الانصراف..».

بعض أهله : ألا مكثت قليلا؟!

الوليد : ألحق برسول الله والمسلمين.. (وهو ينصرف) لا تنسوا إبلاغ كتابى إلى خالد..

* * *

«رسول الله ﷺ وقد فرغ من معه من المسلمين من أداء مناسك العمرة، يدعو إليه نحو مائتين من المسلمين.. يكل إليهم أن يذهبوا إلى «بطن يأجج» ليقيموا على السلاح بدلاً من أصحابهم الذين يحرسون السلاح هناك ليتمكنوا من نزول مكة ليقضوا مناسكهم».

* * *

«بمكة رسول الله عليه السلام فى صحابته، يذكرون فيما يذكرون عُمارة بنت حمزة بن عبد المطلب شهيد أحد.. إن «عمارة» تقيم بمكة مع أمها سلمى بنت عميس..».

على بن أبى طالب: (للنبى) علام نترك بنت عمنا يتيمة بين ظهرانى المشركين؟

«جعفر بن أبى طالب، وزيد بن حارثة، يؤمنان على كلام علىّ.. علىّ لا يرى اعتراضًا على محيا النبى المصطفى، فيسارع إلى ديار بنى هاشم بحثًا عن «عمارة بنت حمزة» ليهيئ لها الخروج مع رسول الله عليه السلام إلى المدينة..».

* * *

«النبى عليه السلام فى صحابته، يذكرون فيمن يذكرون من المسلمين الذين بقوا بمكة: برة (ميمونة) بنت الحارث، لم يمنعها وجودها وسط المشركين بمكة من أن تهتدى للإسلام وتهيم به وبرسوله المصطفى حبًا.. قد مات عنها زوجها فانصرف عنها القرشيون وهم لا يغفرون لها، أنها خالفت قومها وأسلمت.. بينما هى تعتصم بالإسلام ولا تقبل الزواج بمشرك.. إنها الشريفة الحسيبة النسيبة التى غاظ قريشًا إسلامها وهى بين ظهرانيهم.. شقيقتها «لبابة» الكبرى: أم الفضل، زوج العباس بن عبد المطلب التى يذكر لها أنها شجت رأس أبى لهب حين دخل بيت

أخيه العباس واحتمل مولاه «أبا رافع» فضرب به الأرض وجثم عليه يضربه لأنه أسلم!.. وشقيقتها الثانية «لبابة» الصغرى، زوج الوليد بن المغيرة وأم خالد بن الوليد.. ومن أخواتها لأمها: أسماء بنت عميس زوج جعفر بن أبى طالب، وسلمى بنت عميس زوج حمزة بن عبد المطلب.. إن «برة» على إسلامها رغم حماقات القرشيين من حولها معتصمة بدينها لا تقبل أن تبنى بغير مسلم..».

«لقد أرسل بعض الصحابة يخطبها لنفسه، فجعلت أمرها للعباس، لا تخفى تطلعها إلى نبى الله.. وبينما المسلمون فى صحبة رسول الله – عليه السلام، يقدم العباس حاملاً أمل «برّة» بنت الحارث فى أن تنتسب إلى الرحمة المهداة.. ما يكاد المسلمون يحسون أن النبى – عليه السلام – ميال إلى التلبية، حتى تنطلق آمالهم أن يكون هذا القران الميمون فاتحة خير تلين به قلوب بعض أشراف مكة.. إن «برّة».. وسموها من الآن ميمونة.. لها قرابة وإصهار فى أقوى البطون القرشية، وربما نزلت قريش على مقتضيات العرس فتنزل من سفوح التلال والجبال وترضى أن تمتد إقامة الرسول والمسلمين بمكة إلى أن يقام العرس.. تمتد ببعض المسلمين الأمانى فيرجو أن يمهد ذلك لحلول السلام والوئام، وتستغرقهم

آمالهم بعد أن أصدق المصطفى – ميمونة أربعمائة درهم، وبعث إليها بابن عمه جعفر بن أبى طالب – زوج أختها لأمها أسماء بنت عميس – بالخبر الميمون».

* * *

«بحى من أحياء مكة، برّة (ميمونة) على بعير لها – يلقاها جعفر بن أبى طالب فيلقى إليها بالبشارة.. ما تكاد تسمع حتى غمرتها المسرات..».

ميمونة بنت الحارث: (لمن حولها) الجمل وما عليه لرسول الله..

* * *

«بالقبة التى ضربت من الأدم بالأبطح لينزل ويبيت فيها رسول الله – عليه السلام، والصحابة من المهاجرين والأنصار ينتظرون أن يسمعوا من قريش خيرًا، إذ بنفر من قريش قد قدموا طلبًا للقاء النبى – عليه السلام، يتقدمهم سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى اللذان عقدا معه معاهدة الحديبية..

سهيل بن عمرو : (للنبى – مبادرًا) قد انقضى الأجل فاخرج عنا!

النبى : (متحلمًا) وما عليكم لو تركتمونى فأعرست بين أظهركم، فصنعت لكم طعامًا؟

سهيل وحويطب : (فى جفاء) لا حاجة لنا فى طعامك، اخرج عنا!.. (يستأنفان) ننشدك الله يا محمد والعهد الذى بيننا وبينك

إلاّ خرجت من أرضنا، فهذه الثلاث التى أمهلناك إياها قد مضت!

سعد بن عبادة : (لسهيل – غاضبًا) كذبت لا أم لك، (مشيرًا إلى بطاح مكة) ليست بأرضك ولا أرض أبيك!.. (يستأنف) والله لا يبرح منها إلاّ طائعًا راضيًا.

النبى : (لسعد – متبسمًا) يا سعد، لا تؤذ قومًا زارونا فى رحالنا.

«سهيل وحويطب ومن معهما ساكتون لا يعلقون..».

النبى : (لأبى رافع) نادوا فى الناس بالرحيل.. (يستأنف) لا يمسين بمكة أحد من المسلمين..

* * *

«بخارج مكة، وقافلة المسلمين تتجمع لتتجهز لبدء رحلة العودة إلى دار الهجرة.. علىّ بن أبى طالب يلحق بالمسلمين وقد نجح فى إحضار عمارة بنت حمزة لترافقهم إلى المدينة.. عمارة تلمح رسول الله فتطير إليه عدوًا..».

عمارة بنت حمزة : (منادية الرسول فى لهفة) يا عمى، يا عمى.

«النبى – عليه السلام – يربت عليها حانيًا.. على بن أبى طالب يأخذ بيدها إلى فاطمة..».

على بن أبى طالب : (لفاطمة) دونك ابنة عمك..

«فاطمة تأخذها فتحملها فى حنان، فينبرى زيد بن حارثة معترضًا..».

زيد بن حارثة : أنا أحق بها.. إننى وصىّ حمزة، وهى ابنة أخى، آخى بيننا رسول الله حين آخى بين المهاجرين..

جعفر بن أبى طالب: الخالة والدة.. خالتها عندى.. وهى أحق بأن تكون عند خالتها أسماء بنت عميس.

على بن أبى طالب : ألا أراكم تختصمون! هى ابنة عمى وأنا أخرجتها من بين أظهر المشركين، وليس لكم إليها سبب دونى، وأنا أحق بها منكم!

النبى : (وقد لمح ما بين أصحابه من تنافس على رعاية عمارة) أنا أحكم بينكم!

الثلاثة : (صادعين) ما تراه يا رسول الله..

النبى : (يتجه إلى زيد) أما أنت فمولى الله ومولى رسول الله.. (يلتفت إلى على) وأما أنت يا علىّ فأخى وصاحبى.. (يلتفت إلى جعفر) وأما أنت يا جعفر فأولى بها، تحتك خالتها ولا تنكح المرأة على خالتها ولا على عمتها..

«جعفر ينهض فرحًا فيدور حول رسول الله.. يحجل على قدم رافعًا الأخرى والنبى – عليه السلام – يرقبه متبسمًا فى دهشة..».

النبى : (لجعفر) ما هذا يا جعفر؟!

جعفر : يا رسول الله رأينا هذا فى الحبشة، كان النجاشى إذا أرضى أحدًا قام فحجل حوله.

«المسلمون تتغشاهم الرحمات والمسرات..»

* * *

«المدينة، وقد وصل المسلمون بسلام مجبورى الخاطر بعد أدائهم عمرة القضاء، يتذاكرون

الرؤية التى كان رسول الله ﷺ قد أريها، وكيف رأى فيها أنه يدخل مكة والمسجد الحرام مع أصحابه آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين - ها هم يرون الرؤية وقد تحققت أمامهم.. تفيض بهم الأحاديث وتتغشاهم الذكريات..».

«النبى - عليه السلام - فى خلوته يتعبد ويتهجد ويناجى ربه، يتنزل عليه الروح الأمين، فيوحى إليه من آيات ربه..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الفتح: آية: ٢٧]

(يرتفع الوحى)

* * *

«مكة، دار خالد بن الوليد، وقد عاد من القنص وتلقى كتاب أخيه الوليد بن الوليد.. خالد يقرأ الكتاب فى تمعن، ويستعيد عباراته، فتنزل فى نفسه كلمات النبى المصطفى أن مثله لا يجهل الإسلام، يقرأ ويعاود القراءة فتستوقفه عبارة أخيه: استدرك يا أخى ما فاتك، فقد فاتتك مواطن صالحة.. خالد يحس بروح جديدة تسرى فيه، ويذهب إلى فراشه مشغول الفؤاد بخواطر أخذت تجتاحه وتملك عليه نفسه..».

«خالد نائم فى فراشه، يرى فيما يرى النائم كأنه فى بلاد ضيقة مجدبة، فخرج منها إلى بلاد خضراء واسعة.. يستيقظ خالد من منامه وقد هاجته صور الرؤيا التى رآها فى المنام، ويحس أن لهذه الرؤيا شأنًا يلتئم بما أتاه فى كتاب أخيه وما نقله إليه فيه عن رسول الله.. أجل إن نفسه لتحدثه الآن بأن محمدًا رسول مبعوث من السماء، يتحدث بما يختلف عما يتحدث به الناس، ويأتى من الأعمال ما يعجز عنه عشرات الرجال، ويقول كلامًا ما هو بكلام الإنس ولا كلام الجان.. خالد يغادر داره إلى منتدى قريش وقد نشط لما تحدثه به خواطره.. يلاقى فى طريقه صفوان بن أمية..».

خالد بن الوليد : (يستوقف صفوان) يا أبا وهب، أما ترى ما نحن فيه؟!

صفوان بن أمية : فماذا ترى أنت يا أبا سليمان؟

خالد : قد ظهر محمد على العرب والعجم..

صفوان : (آسيًا) هذا من نكد الدهر!

خالد : (متجاهلاً كلام صفوان) لو قدمنا على محمد فاتبعناه..

صفوان : (يردد مستنكرًا) اتبعناه؟!

خالد : أجل يا أبا وهب، فإن شرف محمد شرف لنا..

صفوان : (محنقًا) لو لم يبق غيرى من قريش ما اتبعته أبدًا!

«ينصرف صفوان مغاضبًا..»

خالد : (محدثًا نفسه) هذا رجل موتور يطلب وِتْرا، قد قتل أبوه وأخوه ببدر!

«يظهر عكرمة بن أبى جهل قادمًا فى طريقه إلى منتدى قريش بظاهر الكعبة.. يلحظ خالد بن الوليد وقد وقف واجمًا..».

عكرمة بن أبى جهل: مالك يا أبا سليمان؟!

خالد : ألا ترى ما نحن فيه، إن محمدًا ليس بساحر ولا شاعر، وكلامه ليس بكلام بشر، فحق على كل ذى لب أن يتبعه.

عكرمة : (وقد أفزعه ما سمع) لقد صبأت يا خالد!

خالد : لم أصبأ ولكنى أسلمت.

عكرمة : والله إن كان أحق قريش ألا يتكلم بهذا الكلام لأنت!

خالد : ولم؟!

عكرمة : لأن محمدًا وضع شرف أبيك حين جرح، وقتل عمك وابن عمك ببدر.. (يستأنف عاتبًا) والله ما كنت لأسلم أو أتكلم بكلامك يا خالد!

خالد : هذا كلام الجاهلية!

عكرمة : (عاتبًا محذرًا) أما رأيت قريشًا يريدون قتاله؟!

خالد : (مكررًا) هذا أمر الجاهلية وحميتها، ولكنى والله أسلمت حين تبين لى الحق.. (يستأنف) عزمت عليك يا عكرمة أن تكتم ما سمعت..

عكرمة : (مطمئنًا) لا أذكره.

* * *

«منتدى قريش بظاهر الكعبة، أبو سفيان جالس فى بعض أشراف قريش بادى التململ والقلق، نافد الصبر.. ينتظر خالد بن الوليد بعد أن أرسل فى طلبه بعد أن تناهى إليه ما يتقوله

البعض أنه قد صبأ.. يظهر خالد بن الوليد مقبلا، فيفاتحه أبو سفيان ممنيًا نفسه بأن يكون ما سمعه غير صحيح..».

أبو سفيان : (مبتدرًا) أحقًا ما بلغنى عنك أنك صبأت؟!

خالد : (فى اعتداد) ما صبأت ولكنى أسلمت..

أبو سفيان : (غاضبًا) إذًا هو ما بلغنى؟

خالد : (فى اقتضاب) هو الحق!

أبو سفيان : (وقد استشاط غضبه) واللات والعزى لو أعلم أن الذى تقول حق لبدأت بك قبل محمد.

خالد : (فى اعتداد) فوالله إنه لحق على رغم من رغم!

«أبو سفيان يندفع إلى خالد فى غضب أعمى فيحجزه عكرمة بن أبى جهل..».

عكرمة : (لأبى سفيان) مهلا يا أبا سفيان، فوالله لقد خفت للذى خفت أن أقول مثل ما قال خالد وأكون على دينه..

أبو سفيان : (يردد مقاطعًا فى جنون) تكون على دينه؟!

عكرمة : أنتم تقتلون خالدًا على رأى رآه وقريش كلها تبايعت عليه! والله لقد خفت ألا يحول الحول حتى يتبعه أهل مكة كلهم..

«أبو سفيان يستسلم مغلوبًا على أمره، بينما يمضى خالد إلى حال سبيله..».

* * *

«بأحد أزقة مكة، خالد بن الوليد وقد أزمع الخروج إلى المدينة.. يصادف صديقه: عثمان بن طلحة، فيوشك وهو يتوسم فيه خيرًا أن يخبره

بأمره، ولكن يلم به خاطر أن صديقه قد فقد من قتل من آبائه فى قتال المسلمين.. خالد يغلبه حماسه، فينحى هذا الهاجس..».

خالد : (لنفسه) وما علىّ وأنا راحل من ساعتى؟.. (لعثمان) ما كنت لأحجب عنك.. لقد حصحص الحق، واستبان أن الرجل صادق.. فما يقول كلامه بشر.. إنما نحن بمنزلة ثعلب فى جحر لو صب فيه ذنوب من ماء لخرج..

«عثمان بن طلحة يبدو عليه الارتياح لما يسمع..»

خالد : (يمضى متشجعًا) إن كلامه من كلام رب العالمين..

عثمان بن طلحة : أو ترى أن نلحق به!

خالد : لقد غدوت اليوم وأنا أريد أن أغدو إلى المدينة.. وهذه راحلتى مناخة بفخٍّ (واد بمكة)..

عثمان : ألاقيك بيأجج..

خالد : من يسبق ينتظر صاحبه.

عثمان : (مؤمنًا) هو ذاك.

* * *

«بيأجج مع تباشير الفجر، يلتقى خالد وعثمان، فيسارعان إلى شد الرحال إلى حيث يريدان.. عند «الهدة» – موضع على الطريق – يصادفان عمرو بن العاص..».

عمرو بن العاص : مرحبًا بالقوم!

خالد وعثمان : وبك!

عمرو : أين مسيركم؟

خالد وعثمان : (متجاهلين سؤاله) ما أخرجك؟

عمرو : وما أخرجكم؟

خالد : والله لقد استقام المنسم (خف البعير – مثل يعنى اتضاح الأمر) وإن الرجل لنبى، أذهب إليه فأسلم، فحتى متى؟!

عمرو : (وقد زايله حذره) والله ما جئت إلاّ لأسلم.. ذلك الذى قدمنى..

«تتعانق قلوب الثلاثة، ويتابعون الرحلة معًا إلى حيث ينشدون الرحمة المهداة..».

* * *

«المسجد النبوى بالمدينة، وقد سبقت الأخبار إلى رسول الله ﷺ، أن مكة قد قذفت بخالد وعمرو وعثمان بن طلحة.. أناخوا رواحلهم بظاهر الحرة، وأصلحوا شأنهم وأنهم فى طريقهم إلى المسجد ليعلنوا إسلامهم.. يدخل خالد يتبعه عمرو وعثمان بن طلحة، فيستقبلهم النبى هاشًّا مبتسمًا..».

خالد وعمرو وعثمان: (وقد وقفوا بين يدى النبى) السلام على نبى الله..

النبى : (هاشًا متبسمًا) وعليكم السلام ورحمة الله..

خالد : يا نبى الله إنى أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنك رسول الله..

النبى : تعال.

«خالد يقترب من الرحمة المهداة..»

النبى : (يستأنف) الحمد لله الذى هداك، قد كنت أرى لك عقلا رجوت ألا يسلمك إلاّ إلى خير.

خالد : يا رسول الله. قد رأيت ما كنت أشهد من تلك المواطن عليك

معاندًا عن الحق، فادع الله أن يغفرها لى.

النبى : الإسلام يجبُّ ما كان قبله.

خالد : يا رسول الله، على ذلك؟

النبى : (داعيًا) اللهم اغفر لخالد بن الوليد كل ما أوضع فيه من صد عن سبيلك..

«تنفرج أسارير خالد، وتملؤه المسرات.. بينما يتقدم عمرو بن العاص بين يدى الرحمة المهداة..».

عمرو : يا رسول الله، إنى أبايعك على أن يُغفر لى ما تقدم من ذنبى، ولا أذكر ما تأخر.

النبى : (متبسمًا) يا عمرو بايع فإن الإسلام يجبُّ ما كان قبله وإن الهجرة تَحُتّ (تسقط) ما كان قبلها..

عمرو : فإنى أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنك رسول الله.. وعلى ذلك أبايع..

«تتصاعد تكبيرات المسلمين، بينما يتقدم عثمان بن طلحة، فينطق بالشهادتين، ويبايع على ما بايع عليه صاحباه بين تكبيرات المسلمين..».

* * *

«جلبة على باب المسجد النبوى، بعض المسلمين يحملون جريحًا مصابًا بجراحات كثيرة.. إنه الأخرم بن أبى العوجاء السلمى.. خرج من أيام فى خمسين رجلا إلى بنى سليم..».

أحد الصحابة : (للعائدين بالجريح) ما خبركم؟

المسلم : أتينا على القوم فوجدناهم قد جمعوا لنا جمعًا كثيرًا وأعدوا لنا..

الصحابى : علموا بمقدمكم؟!

المسلم : كان معنا عينٌ لهم سبقنا إليهم فحذرهم!

الصحابى : بادأتموهم؟

المسلم : بل دعاهم ابن أبى العوجاء إلى الإسلام، فأبوا وقالوا لا حاجة لنا إلى ما دعوتنا.. رمونا بالنبال وأحدقوا بنا وتكاثروا علينا.. وجدنا ابن أبى العوجاء جريحًا مع القتلى، فقدمنا به إلى المدينة..

«المسلمون يسارعون لتلقى الجريح، يبادرون به إلى إحدى الدور، يطببون جراحه ويخففون عن العائدين ما لاقوه فى سبيل الله..».

* * *

«النبى ﷺ فى خلوته يتحنث ويتهجد ويناجى ربه، يوافيه جبريل - عليه السلام - فيوحى إليه من آيات ربه..».

جبريل : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [سورة آل عمران: آية: ٣١]

(يرتفع الوحى)

* * *

«المدينة، وقد أتت الأنباء بأن بنى الملوح بالكديد (مكان بين مكة والمدينة) يقطعون

الطريق على من أتى المدينة مسلمًا، ويكيدون للإسلام والمسلمين.. النبى - عليه السلام - يبعث غالب بن عبد الله الليثى فى سرية إلى بنى الملوح بمضاربهم بالكديد..».

«عند «القديد» تصادف السرية وهى فى طريقها إلى الكديد - الحارث بن مالك بن البرصاء، فيعترضونه ويأسرونه مخافة أن يكون عينًا للقوم..».

الحارث بن مالك بن البرصاء: إنما جئت أريد الإسلام..

غالب بن عبد الله : لا يضرك رباط (وثاق) ليلة إن كنت تريد الإسلام، وإن يكن غير ذلك نستوثق منك..

«المسلمون يشدون وثاقه، ويخلفون سويد بن صخر حارسًا عليه، وينطلقون إلى غايتهم..».

* * *

«المسلمون وقد وصلوا إلى مشارف «الكديد» عند غروب الشمس، فيؤثرون الكمون ناحية الوادى ليروا ما يفعله القوم.. غالب بن عبد الله يدعو إليه جندب بن مكيث الجهنى، فيكل إليه أن يكون طليعة للمسلمين ليقترب متسللاً إلى مضارب بنى الملوح يستطلع أمرهم..».

«على مشارف مضارب بن الملوح، جندب يتخير تلاً مشرفًا على القوم، فيصعد إليه وينبطح عند قمته يرقب منها أحوال القوم.. يلحظ من

مكمنه رجلاً من القوم قد خرج من خبائه فأخذ ينظر مستطلعًا إلى التلال المحيطة، ثم نادى على امرأة سارعت إليه..».

* * *

«مضارب بنى الملوح.. الرجل يتابع النظر إلى التلال، يستوقفه التل الذى يربض عليه جندب، يقول لامرأته..».

الرجل : والله إنى لأرى على هذا التل سوادًا مارأيته عليه صدر يومى هذا..

المرأة : (تردد متسائلة) سوادًا؟!

الرجل : فانظرى إلى أوعيتك لا تكون الكلاب جرت منها شيئًا..

«المرأة تتفقد أوعيتها ثم تبادر إلى زوجها..»

المرأة : والله ما أفقد من أوعيتى شيئًا..

الرجل : ناوليني قوسى ونَبْلى!

«المرأة تناوله القوس والنبل، فيرمى سهمًا تلو آخر فى اتجاه الهالة السوداء التى يلمحها بأعلى التل.. السهمان يصيبان جندب فى جنبه، ولكنه يغالب ألمه وينزعهما فى هدوء دون أن يبدى حراكًا..».

الرجل : (لامرأته) والله لو كان ما أراه زائلة (كل شىء من الحيوان لا يستقر مكانه) لتحرك بعد أن ألقيت بالسهمين، فقد خالطه سهماى، لا أبا لك!

المرأة : فما تريد؟!

الرجل : إذا أصبحت فابتغيهما، لا تمضغهما الكلاب..

«الرجل يؤوب إلى خبائه مطمئنًا أنه لا يوجد بأعلى التل ما يريب..».

* * *

«مع تباشير الفجر، وقد نقل جندب إلى المسلمين ما لمسه من أحوال القوم، وأنهم لم يرفعوا أذانًا، ولا شاهد أحد أحدًا منهم يقيم صلاة.. المسلمون يتهيأون فيداهمون القوم على غرة، فيظهرون عليهم، ويعودون مظفرين يطلقون فى عودتهم وثاق الأسير الحارث بن مالك.. لا يكادون يفعلون، إلا وتداهمهم أعداد غفيرة من بنى الملوح برزت من جنبات الوادى، لم يفصل بينهم وبين المسلمين وهم بضعة عشر رجلا إلا سيل عرم غمرت مياهه جنبات الوادى فحالت بين المهاجمين وبين النيل من المسلمين الذين تابعوا مسيرتهم مجبورين..».

* * *

«المسجد النبوى بالمدينة.. النبى ﷺ فى صحابته وقد استقبلوا بالبشر نبأ ظفر السرية.. النبى - عليه السلام - يريد أن يكاتب خزاعة التى آمن وأسلم منها كثيرون، حتى قدم عَلْقمة ابن عُلاثة وابناه مهاجرين.. النبى يدعو إليه كاتبه ليملى عليه كتابًا إلى خزاعة..».

النبى : (يملى على كاتبه) بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى بُديل وبسر وسروات بني عمرو. سلام عليكم، فإني أحمد الله إليكم، الله لا إله إلاّ هو، أما بعد، فإنى لم آثمْ بإلّكم، ولم أضع فى جنبكم، وإن أكرم تهامة علىّ أنتم، وأقربهم رحمًا أنتم ومن تبعكم من المطَيبين، فإنى قد أخذت لمن قد هاجر منكم مثل ما أخذت لنفسى - ولو هاجر بأرضه - غير ساكن مكة إلاّ معتمرًا أو حاجًا، وإنى لم أضع فيكم إذْ سالمت، وإنكم غير خائفين من قبلى ولا محصورين. أما بعد: فإنه قد أسلم علقمة بن علاثة وابناه، وتابعا وهاجرا على من تبعهما من عكرمة، أخذت لمن تبعنى منكم ما آخذ لنفسى، وإنّ بعضنا من بعض أبدًا فى الحِلَ والحرم، وإننى والله ما كذبتكم وليحبكم ربكم والسلام.

«ينطلق رسول رسول الله بالكتاب..»

* * *